

## الأقرب إلى الأرض: شعرية المشهد



ШАБЛОНЫ SHAPЕ5  
ШАБЛОНЫ ОНЛАЙН МАГАЗИНОВ JOOMLA

فراس حسين



حين نقول عن صورة أو لوحة أنها تحمل لمسات شعرية، لايعني هذا أن المصور أو الرسام كتب «قصائد» تحت أو فوق أو بجوار ما يصوره. والأمر نفسه يمكن قوله عن الرواية والمسرحية وبقية فنون الكتابة بأنواعها. للمسة الشعرية هي مقاربة حيوية خاصة للأشياء، هي لمسة يمارسها المصور والرسام وال كاتب حين يبت في الأشياء طاقة لم تألفها العين العادية أو اعتاد عليها قارئ الكلمات. بعبارة أوضح، هي لمسة تستنطق الأشياء وتفجر فيها ذاكرة، أو رمزية ما، أو تعيد تكوين المشهد في ما يشبه نسقا جديدا نضراً غير مسبوق.

ها هنا رسام يحمل بصمته الخاصة منذ البداية؛ إنه الفنان الفلسطيني «عبد عابدي» الذي ظل في فلسطين المحتلة، وفي أكثر مدنها بقاء وارتباطاً بالذاكرة، أعني «حيفا» المظلة على البحر الأبيض المتوسط. هذا الرسام الذي تذكر رسومه وصوره منذ الوهلة الأولى برسوم وصور الفنان «ناجي العلي»، تتخذ لديه الشعرية منحى خاصاً بعيداً عن الغنائية الداهلة التي نشاهدها عادة في صور ورسوم معبرة عن الحنين إلى الوطن ومرابه. ويتمثل هذا المنحى في التأكيد على الوضعية الفلسطينية كمأساة أولاً، وتبعاً لذلك على استعادة الأسماء والأمكنة والأشخاص، وتحويل الأشياء الفلسطينية إلى أشياء مرئية تقاوم الغياب والنسيان.

في خلفية هذه الشعرية الحادة أو الخشنة، إن نظرنا إلى الخلفية الواقعية أو الأشياء كما ترسم على لوحة الحاضر الفلسطيني تحت الإحتلال، أسماءً محووة ومشهد تم تغيير معالمه وأناس شردوا بعيداً عن بيوتهم وقراهم. وما يفعله المصور الرسام هو استنطاق الأشياء وتقجير ذاكرتها، وجعل البشر المحرومين من وطنهم وهم يعيشون تحت سمائه مرثيين، كمجموعات وأفراد تحت ضوء ساطع، كأنه يعيد بهذه اللمسة تأكيد الحضور الراسخ الذي لايمحوه التغييب والتجاهل.

ولعل في استخدام اللونين الأسود والأبيض، وبهذه الخطوط الحادة والملاح التي رسمت كأنما بسكين، رغبة دفينية في جعل ما يتوهج هو حقيقة هذا الوجود، وجعل الطاقة الكامنة في المشهد البشري والطبيعي ملموسة، وهي أمور كان يمكن أن تخفف من حدتها الشعرية الألوان لو استخدمها الرسام.

ومن الواضح أن الرسام يود عامداً متعمداً إقامة نصب في المشهد، ما قبل النكبة وما بعدها، نصب لالتسجل الذاكرة المأساوية للباقيين على أرضهم فقط، بل تتحدى أيضاً الإقتلاع والنفي والتشريد ومصادرة الأرض وهدم الأحياء وتغيير معالم الطرقات.

ثلاثة عناصر في هذه الرؤية تؤدي وظيفة الإقتراب من الأرض والبقاء؛ أولها تأكيد الأسماء والملاحم الفلسطينية لهذه الأرض، وثانيها التعبير عن هذا بتفجير طاقة وحيوية الإنسان ممثلتين بتكوينات شبه نحتية للوجوه والأجساد، وثالثها إبراز العنصر الإنساني. وكل هذه العناصر كما يقول «عبد عابدي» في معرض حديثه عن نصب «شهداء يوم الأرض» الذي أقامه في قرية «سرخين» إنما هي ذكرى الحاضر والمستقبل أيضاً. رسالة هذه الذكرى هي روح الإصرار على البقاء في مواجهة كل أفانين الإبادة والمحو والتلفيق، وشهادة انتماء أبدي لهذه الأرض.

\*\*\*

هذه شعرية لاتبدو مفارقة لزمانها، بل هي منه ومن أعماقه، شعرية تقاوم ضلال «الشعريات» الزائفة المتنوعة التي حاولت طمس وإخفاء طاقة الإنسان الفلسطيني على المقاومة والصمود على أرضه، بل وحتى تغييب وجوده المرئي، وتمثيله بصور شتى لاثمت إلى واقعه وواقع مأساته بصلة. وهذه شعرية الجموع أيضاً، الكتل المتراسة التي تتغلب بتجمعها وتراصها على جوائح الإبادة والإفناء

والغربة في داخل الوطن وخارجه. ولا تغييب هذه الروح الجماعية حتى عن ملامح الصور الفردية، فهي ممثلة حتى بفرديتها لما هو أعمق من فرديتها. وحين يكتفي الرسام بمشهد احتضان الأم لطفلها أو مشهد عيون امرأة ينساب شعرها مثلما تنساب راية، لا يرسم ملامح محددة فردية بقدر ما يستثير الطاقة الرمزية في إشارتها إلى ما يتجاوز فرداً محدداً، إلى شعب ترمز له عاطفة أم وعيون امرأة وجسد شهيد.

مجلة الكويت العدد : 269

2006-03-01

**ТЕКСТИЛЬ ДЛЯ ДОМА, ВЫШИВКА, ФУРНИТУРА, ТКАНИ  
АВТОНОВОСТИ**